١- ما معنى الإلحاد؟

الإلحاد هو: رفض الاعتقاد بأية قوى غيبية.

فالملحد ينكر الخالق والنبوات والبعث.

٢- ما هو الدليل على وجود الله الخالق؟

الأدلة كثيرة لكن نكتفي بدليلين: دليل الإيجاد ودليل العناية.

٣- ما معنى دليل الإيجاد؟

دليل الإيجاد يعني أن:

كل شيء مُحدَث أي وُجد بعد أن لم يكن موجودًا، لابد له مِن مُحدِث أي موجِد.

وبذلك يكون لدينا ١٠أس ١٢٤ دليلاً على الخلق!

وهذا الرقم هو عدد الذرات بأنشطتها الوظيفية في كل الكون.

بالمناسبة هذا الرقم عملاق فهو يعني ١٠ أمامها ١٢٤ صفرًا!

فكل شيء مُحدَث قد ظهر إلى الوجود هو دليل على الخالق الموجِد.

وأنت إذا نظرت إلى الوجود تبيّن لك عرضيته وتغيره أي أنه عرضي ومتغير وليس دائم ولا أزلي، وهنا أنت تقطع بأنه غير مكتفٍ بذاته، فينصرف نظرك إلى موجده، ويتبرهن لك بأن له خالقًا!

ولذلك ما أكثر آيات القرآن في لفت النظر إلى الموجودات، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم:٨].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

فكل شيء مُحدَث دليل مباشر على الموجِد!

٤- ما معنى دليل العناية؟

دليل العناية يعني أن:

كل شيء في الوجود على الإطلاق من الكواركات –أصغر جرم مادي تم رصده يُشكل البُنى الذرية- إلى المجرات، يحمل درجة من درجات التعقيد الوظيفي.

أي يؤدي وظيفة متخصصة ومهمة محددة.

وكل تعقيد وظيفي في الطبيعة هو مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

فالوجود مرتبة.

والتعقيد داخل الشيء الموجود مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

وكل ما حولك مُصمم بشكل معين ليؤدي وظيفة محددة.

إذن كل ما حولك يحمل تعقيدًا وظيفيًا.

والتعقيد الوظيفي دليل صنع وإيجاد.

إذن لابد من موجِد.

مثال ذلك "المصباح": هذا تعقيد وظيفي.

فالمصباح الكهربي يتكون من: فتيلة، وسلك من الرصاص يوصل الكهرباء للفتيلة، وغاز خامل يحمي الفتيلة ولا يتعامل معها ولا مع الكهرباء، وزجاج يمنع دخول الهواء أو خروج الغاز الخامل وإلا لاحترقت الفتيلة، وقاعدة المصباح وهي التي توصل المصباح بالدواية وتكون مسارًا للتيار الكهربي.

هنا المصباح الكهربي نظام به تعقيد لا يمكن تبسيطه، وبالتالي فيه دلالة عقلية أولية تفيد الصنع المتقن، والذي ينفي الصنع المتقن عن المصباح أو يفترض ظهوره بالصدفة هو المطالب بالدليل على ذلك!

فالذي صَنع المصباح يعلم تمامًا معنى الكهرباء ومساراتها وفائدة المصباح وحساسية الفتيلة، ولذا وجود المصباح دلالة مباشرة على أن له صانع متقن، وليس ضرب عشواء لمجرد أن هناك مصابيح مختلفة في شكلها تمامًا عنه!

وبنفس الدرجة من الاستدلال العقلي نجد أن الشيء المعقد وظيفيًا مثل الإنسان له موجِد صانع.

المصباح يتكون من ٤ مكونات.

الإنسان يتكون من ٣ مليار مكوِن في كل خلية من خلاياه .

٣ مليار مكوِن "حرف" يشكلون وظائف الكائن الحي، والتي تسمى الجينوم أو الDNA وتقبع هذه الحروف في نواة كل خلية من خلاياك.

فإذا ظننت أن ال٤ مكونات الخاصة بالمصباح لها صانع وأنت ليس لك صانع فهذه مشكلتك أنت.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥].

وكل شيء حولك فيه تعقيد، ولا يوجد شيء في الطبيعة على الإطلاق بدون قدر من التعقيد الوظيفي كما يقول علماء الفيزياء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤].

والآيات في ذلك كثيرة جدًا؛

ولا يتذكر إلا من يستخدم عقله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فاقتضى الوجود –دليل الإيجاد– وضبط الموجودات –دليل العناية– التسليم بصحة دلالة الموجِد عقلاً!

٥- لماذا لا يكون الإنسان وغيره من الكائنات الحية مصدرهم كائنات أولية بسيطة جدًا؟

هنا مشكلتان:

الأولى: أنه لا يوجد دليل واحد رصدي على تطوري كبروي.

والتطور الكبروي معناه: انتقال نوع من الكائنات الحية إلى نوعٍ آخر.

والعلماء لم يرصدوا دليل واحد على انتقال نوع إلى نوع، فهذا مجرد افتراض.

فكيف للملحد أن يؤمن بهذا الدليل وينكر علينا الدليل الديني؟

المشكلة الثانية: طبقاً لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات، وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق، لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

إذن المشكلة لو عندك ٣ مليار معلومة متخصصة –تلك المعلومات الموجودة داخل نواة كل خلية من خلاياك- لإنتاج وظائف حيوية دقيقة أو حتى ١٠ آلاف معلومة، فأنت أمام كنز عملاق من المعلومات المتخصصة ظهرت فجأة.

فالملحد كان يتخيل أن هناك كائنات بدأت من الصفر جينة، لكن أتت نظرية الحد الأدنى من الجينات لتقضي على هذا الحلم.

فالكائنات الحية ظهرت معقدة وظيفيًا منذ اللحظة الأولى.

٦- ما هي الأمثلة على دليل العناية؟

الأمثلة لا حصر لها.

ولا تسعها دواوين الأرض.

فكل ذرة في الكون هي دليل عناية علِمنا اليوم أو غدًا بهذه الحقيقة.

أ- فالإنسولين —هرمون هضم الجلكوز- يفرزه البنكرياس بنفس مقدار السكر الذي أكلته.

ب- قوة ضخ القلب للدم تتعادل مع الطاقة التي تحتاجها العضلات بحسب الجهد المبذول.

ج- صمامات معدتك لئلا يرجع الطعام إلى فمك فتتأذى.

د- صمامات الإخراج لئلا تتأذى ثيابك في كل لحظة.

هـ- عظام جمجمتك لا تلتحم حتى تنزل من بطن أُمك آمناً بسهولةٍ ويُسر، لأنها لو كانت ملتحمة لما نزلت من بطن أمك إلا بعد تكسرها، ولا يكتمل نموها حتى يكتمل نمو مخك.

و- كل محاور أعصابك والتي تنقل الإشارات الكهربية مُغطاه بطبقة عازلة —كما نفعل نحن الآن مع الأسلاك الكهربية -، لئلا تشرد الإشارة الكهربية أو تضيع أو تسبب لك إزعاجًا.

ز- الالكترون يدور حول النواة بسرعة ألف كيلو متر في الثانية وإلا لسقط داخل النواة بفعل قوة التجاذب مع النواة الموجبة ولانهار الكون قبل أن يبدأ، وهذه هي السرعة المثالية لتشكل الذرة.

ح- وعندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن ٠,٧ ٪ من كتلة الهيدروجين تتحول إلى طاقة، ولو كانت هذه الكتلة هي ٠,٦ ٪ بدلا من ٠,٧ ٪، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكُتلة المتحوّلة إلى طاقة هي ٠,٨ ٪ بدلاً من ٠,٧ ٪،لأصبح الالتحام سريعاً للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فوراً من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين ٠,٦ ٪ و ٠,٨ ٪.

ط- كتلة الإلكترون Electron mass تمثل ٠,٢٪ من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرَّة .

ي- تتجه البراعم بعد الإنبات مباشرةً نحو مصدر الضوء وتتجه الجذور نحو الأسفل حيث تتمتع البراعم بحساسية مفرطة للضوء، وكل المعلومات التي تحتاجها للقيام بوظيفتها توجد مُشفرة داخل البذرة، وهناك هرمونات تتحكم في النمو العلوي والجانبي للنبتة وفي اتجاه الجذور وكلها أيضاً مشفرة داخل البذرة.

وأنت تأكل الفاكهة اللذيذة ثم ترمي البذرة الجافة اليابسة عديمة الطعم بعيدًا عنك، أنك بذلك تخضع لعقل مدبر يحكم الكون كله، يسمح لتلك الفاكهة أن تُمرر جيناتها لكل مكان في الأرض حيث تمنحك طعماً لذيذاً وتُخفي جيناتها أصل حياتها في قلب بذرة جافة ملساء غير مغرية لك ما أن تلتصق بالأرض حتى تبدأ تتفتق بهدوء إلى فروع وجذور فتنبت وبذلك تكون الأم قد نجحت في تمرير جيناتها للأبناء، كل هذا يحدث في نباتات لا تعي شيئا.

مَن الذي ضبط المعلومة لتلك الفاكهة البكماء الصماء، وضَبَط كمية السُكر بها بحيث تروق لك؟

مَن الذي جعل البذرة غير مقبولة وغير مُستساغة، حتى تزهد فيها وتلقيها بعيدًا؟

مَن الذي شحن البذرة بالمعلومات الوراثية الكافية لتخليق نبتة جديدة بكل تفاصيلها ووظائفها؟

ك- العلماء يتحدثون مؤخرًا عن كتلة الكون الكلية وأنها ضرورية لوجودنا على الأرض؟

فالعطالة أو القصور الذاتي Inertia والتي تعني مقاومة الجسم لأي تغير في حركته، هذه النعمة مصدرها كتلة الكون ككل.

ولو كانت العطالة أقل مما هي عليه الآن لاستطاع نسيم الهواء البسيط تحريك الصخور ولما استطاع الصخر مقاومة أقل جهد يُبذل عليه، وفي عالم كهذا نكون معرضين باستمرار لقصف كل أنواع الأشياء.

ولو كانت العطالة أكبر مما هي عليه الآن لوجدنا صعوبة بالغة في تحريك أصابعنا، ولو استطعنا تحريكها سيكون التحكم بسرعتها واتجاهها ضرب من المستحيل.

وهذا يعني أننا لن نتحرك ولن نقوم بعمل أي نشاطٍ يُذكر!

ولن يغادر الإنسان الأول مكان ظهوره ولن تغادر الأجنة -إذا استطاعت التشكل أصلاً -الأرحام إلا بجهدٍ جهيد!

لذا من المثير أن مقدار عطالة المادة يجب أن تكون مطابقة لما هي عليه الآن!

والأمر الذي أدهش الفيزيائيين -خاصةً دينيس سياما في كتابه Unity of the Universe - أن كتلة مجرة درب التبانة لا تشارك في ضبط العطالة إلا بنسبة ٠,١ بالمليون، بينما كتلة الأرض لا تضبط العطالة إلا بنسبة ٠,٠٠١ بالمليون.

وهذا يدفعنا للقول بأن العطالة المثالية التي نحيا على ثمارها والتي من خلالها نمارس كل أنشطتنا هي نتاج مجموع طاقة الكون ككل.

وهذا يدفعنا واقعيًا للقول بأن وجودنا يعتمد بدقة على كتلة الكون ووجود الكون ككل!

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وكلما توّسع العلم ظهرت عجائب الحكمة ودقائق الخلق![1].

٧- بعض الملاحدة ينتقد دليل العناية فيقول هناك أشياء غير مثالية مثل: الأمراض والزلازل؟

عدم وجود أشياء متقنة في الكون على حد تعبير الملحد لا ينفي وجود الإتقان.

فهو بذلك يؤكد وجود الإتقان في الكون.

فلو لم يكن ثمة إتقان أصلاً لما أدرك الملحد وجود أشياء غير متقنة.

فكيف تتحدث عن عيب في التصميم في عالم بلا تصميم؟

أما ما يصفونه بأنه غير مُتقن فهذا قصور في العلم أو قصور في إدراك الحكمة من الأشياء.

فالمؤمنون لا يقولون أن الكون متقن فلا تقع فيه مصائب، وإنما يقولون أن الكون متقن فلا يقع فيه شيء بلا غاية.

وموقف الملحد شبيه بمن ينفي الاتقان عن مركبة الفضاء لوجود كمية ضخمة من المواد البترولية فيها والتي قد تُفجر المركبة في أية لحظة![1].

والعالَم لم يُصمَم ليكون عالم أبدي أو أزلي أو لنصير آلهة؟

بل نحن مُصممون لنبتلى بالخير والشر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وكل هذا يدور في إطار الغاية والحكمة.

٨- من البديهي أن الله لا يحتاج إلينا فلماذا خلقنا؟

فكرة أن الحاجة يقابلها العبث هي فكرة سخيفة!

فالحاجة يقابلها الحكمة لا العبث.

فالطبيب الثري صاحب الصيت الطيب قد يعالج الناس دون أن يحتاج منهم شيئًا، بل يعالجهم لمصلحتهم هم وهنا نحن لا نصف فعله بأنه عبث!

فالحكمة والمقصد العظيم من وراء الفعل لا يدوران في حلقة الحاجة/ العبث!

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

وقد ينقذ أحد السباحين طفلاً رحمةً به ثم يتركه ويذهب دون انتظار ثناء أهل الطفل، وهنا فعله لا يُصنف حاجةً ولا عبثًا بل هل فعل كريم ومقصد نبيل وخلق طيب!

فلا تلازم بين الاحتياج وبين العبث![1].

وفي صحيح مسلم في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقصَ ذلِكَ مِن مُلْكي شيئًا ولو كانوا على أتقَى قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُم ما زادَ ذلِكَ في مُلْكي شيئًا ولو قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلِكَ مِمَّا عندي شيئًا**».

فالله غني عن العالمين، وما سعينا وجهدنا وعملنا إلا لأنفسنا ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

وجهل المريض بحكمة الطبيب لا يعني أن قرارات الطبيب عبثية.

فالعلم بالحكمة الإلهية لا يشترط له فهم كل أبعاد الحكمة وإنما يكفي فهم بعضها!

فيكفي أن نعلم أننا مُكلفون وأن نعلم التكليف ولوازمه وأن نعلم وجود الحكمة الإلهية، فهذا يكفينا من حيث الجملة، وإلا نكون كالذي يكفر بما لا يفهمه ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس:٣٩].

فالله حكيمٌ وخلقنا لحكمةٍ سبحانه.

س٩- هل الاستدلال على الخالق هو استخدام لأدلة الخبرة البشرية ؟

أدلة الخلق تقوم على استدلال فطري إثباتي وعلم يقيني من مقدماتٍ ضرورية.

فالقرآن في الاستدلال على الخلق لا يسلك مسلك الاستدلال بالقياس.

والقياس: يثبت المعاني ثم يستخرج منها الحكم.

بينما الاستدلال على الخلق يعتمد على النظر المباشر والدلالة الرصدية.

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥] هنا حصرت الآية الكريمة سبب وجودهم في ثلاث: إما أنهم جاؤوا من غير شيء وهذا ممتنع إذ العدم لا يوجِد شيئًا وهو أصلاً غير موجود ليوجِد غيره، وإما أنهم أوجدوا أنفسهم وهذا ممتنع فهذا تناقض ظاهر، ويبقى الحل الثالث وهو أن لهم خالقًا خلقهم.

فهذا استدلال عقلي أولي وليس قياسًا على شيء حتى نقول أنه مبني على مجرد الخبرة البشرية.

وإن كنا لا نرى في الاستدلال بالخبرة البشرية قدحًا، فكل علوم العالم مبناها الخبرة البشرية.

وعندما قلنا أن الكون موجود وهو غير مكتفٍ بذاته إذن له موجِد، وكل شيء في الكون جاء بثوابت فيزيائية مبهرة وضبط دقيق، إذن لابد من صانع وخالق، فهنا نحن استخدمنا مقدمات أولية مباشرة وليس قياساتٍ عقلية أو خبراتٍ بشرية.

فالسببية كأحد أدلتنا على الخالق سبحانه لا تعتمد على الحس والاستقراء وإنما هي مبدأ عقلي يستند إلى الضرورات العقلية اليقينية الأولية.

١٠- ما المانع أن يكون هناك سبب مادي خلَق الكون؛ مثلاً: حضارة أخرى أو شيء آخر؟ لماذا الإله الأزلي تحديدًا؟

هناك قاعدة أسّس لها علماء الإسلام منذ أكثر من ألف عامٍ تقريبًا هذه القاعدة تقول أن: «التسلسل في الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع الأفعال»[1].

التسلسل في الفاعلين: أي وجود أكثر من خالق، وفي هذا السؤال عندنا حضارة أخرى وحضارة سبقتها أنتجتها وحضارة سبقتهم أنتجتهم وهكذا، فهناك تسلسل في الخالقين.

هذا التسلسل يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال.

عدم وقوع أفعال: أي عدم ظهور مخلوقات مثل الكون والإنسان وغيرهم.

---

(١) مصدر سابق.

فالتسلسل في الفاعلين يؤدي إلى عدم ظهور الكون والوجود.

فلو أن إحدى الحضارات يتوقف ظهورها على حضارة أخرى أنشأتها والحضارة الأخرى يتوقف ظهورها على حضارة سابقة عليها أنشأتها وهكذا إلى ما لا نهاية، فلن تظهر هذه الحضارة ولا التي تسبقها ولا التي تسبقهما ولن يظهر الوجود ولا شيء.

فلابد من خالق أول أزلي أوجد كل شيء!

ولو أردنا مثالاً تبسيطيًا آخر نقول: عندنا مجموعة من أحجار الدومينو متراصة يلي بعضها بعضًا بحيث لو سقط حجر ستسقط بقية الأحجار بالتتابع. هنا نقول لو أن حجر الدومينو لن يقع إلا لو وقع حجر قبله والحجر الذي قبله لا يقع إلا لو وقع الذي قبله وهكذا فلن يقع أي حجر إلا لو كان لسلسلة أحجار الدومينو بداية.

فلو كانت أحجار الدومينو لانهائية ما وقع أي حجر.

فلو كان تسلسل لا نهائي لن توجد مخلوقات ولا خلق ولا موجودات لأن الفاعل سيتوقف وجوده على فاعل يسبقه وبالتالي لن يظهر فعله إلا بعد ظهوره، وظهوره يتوقف على غيره وغيره يتوقف على غيره وهكذا، فإذا كانت السلسلة لانهائية ما كان هناك خلق ولا موجودات ولا أفعال ولا مفعولات.

فلابد من مبتدىء للخلق خالق موجِد أول.

فالممكن المفتقر لابد له من موجِد فلو قلنا بأنهم كلهم ممكن مفتقر ما ظهر منهم أحد، إذ لابد أن تتوقف السلسلة عند حد.

وهنا نجزم بالخالق الأول الذي لا يسبقه شيء!

١١- نحن نعرف القوانين التي تحكم الكون ونعرف سبب الزلازل جيدًا، فلماذا نحتاج إلى الخالق طالما عرفنا القوانين؟

يفترض الملحد أن القوانين تكفي لخلق الكون وظهوره، وقد اعتمد ستيفن هاوكنج على هذه المقدمة فافترض أن قانون الجاذبية يكفي لظهور الكون، كما أوضح ذلك في كتابه الأخير "التصميم العظيم" [١].

وقد انتشر تقرير هاوكنج في الصحف العالمية وتناقلته وسائل الأنباء، وتداولته المواقع الشعبية بكثافة!

وبغض النظر عن سقوط هذا الزعم ذاتيًا بمجرد التفكير في مصدر قانون الجاذبية، أو مَن الذي قننه ومَن الذي أعطاه صفة التدخل وإظهار الأثر؟

بغض النظر عن هذه البديهيات الأولية فإن قوانين الجاذبية لا تؤدي إلى دحرجة كرة البلياردو!

فالقانون وحده عاجز عن أي شيء بدون ظهور الشيء!

فقانون الجاذبية لن يُنتج كرة بلياردو وإنما فقط يُحركها إذا ظهرت وضُربت بعصا البلياردو.

فقانون الجاذبية ليس شيئًا مستقلاً وإنما هو وصف لحدث طبيعي!

وقانون الجاذبية لن يُحرّك كرة البلياردو دون قوة تضغط على عصا البلياردو وتحركها وهنا فقط تتحرك كرة البلياردو ويظهر أثر قانون الجاذبية!

لكن الملحد يفترض أن وجود قوانين الجاذبية تكفي لخلق كرة البلياردو وعصا البلياردو ودحرجة الكرة.

أيهما أكثر قربًا من العقل والمنطق: الدين أم الإلحاد؟

وبالمثل قوانين الإحتراق الداخلي في موتور السيارة لن تخلق موتور سيارة.

---

(١) - التصميم العظيم(٢٠١٠) ستيفن هاوكينج.

ولو أضفنا قوانين الإحتراق الداخلي إلى موتور السيارة فإن الموتور أيضًا لن يعمل، فلابد من البنزين الذي يعطي طاقة، ولابد من شرارة الاحتراق ولابد قبل ذلك من وجود الموتور. وهنا فحسب تظهر قوانين الإحتراق الداخلي ويعمل الموتور!

فليس من العقل افتراض أن قوانين الاحتراق الداخلي تكفي لخلق الموتور وشرارة الاحتراق والبنزين والسائق والطريق.

ثم إن هذا الافتراض سيدخلنا في تسلسل الفاعلين الذي شرحناه في إجابة السؤال السابق.

١٢- ما المانع أن يكون مصدر الكون هو الصدفة؟

القول بالصدفة هو جهل بأصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها.

وهما: الزمان والمكان.

فالصدفة تشترط زمان تقوم فيه بإحداث أثرها.

وتشترط وجود مادي مكاني تقوم عليه ليُنتج مفعولها.

فكيف نقول بدور للصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان؟

كيف يظهر أثر الصدفة دون ظهور الصدفة نفسها؟

كيف تُعطي الصدفة أثرًا قبل وجودها ووجود الزمان ووجود المكان اللذان هما شرطا الصدفة الأساسيان؟

١٣- كيف نرد على الملحد الذي يقول أن الكون تطور؟

العلم لا يقول بانتقال العالم من عناصر بسيطة إلى عناصر أكثر تعقيدًا!

بل يقول بالعكس تماماً.

العلم يقول بانتقال العالم من التعقيد التام إلى التبسيط عبر الزمن.

وهو ما يُعرف بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية Second Law of Thermodynamic ولتبسيط هذا القانون:

فأنت لو كان عندك كوب ماء ساخن في الغرفة فإن الحرارة ستنتقل من الماء الساخن إلى جو الغرفة حتى تعادل درجة حرارة الغرفة درجة حرارة الكوب، وهكذا يسري هذا القانون على كل شيء في الكون وفي لحظةٍ ما ستتعادل حرارة كل شيء في الكون وعند هذه اللحظة سيحدث الموت الحراري للكون Thermal Death of Universe.

ولو كان الكون أزليًا لكان المفترض أن يصبح الكون متوقف الآن –ميت حراريًا–، لكن في الواقع الكون الآن في حالة أقل من الانتروبي القصوى، ولم يصل للموت الحراري بعد إذن هو ليس أزليًا، وله بداية ثابتة ظهر معها الزمان والمكان.

بل لقد ظهر الكون عند الحد الأدنى من الأنتروبي، وهذا يعني أنه حدوثه على غير مثالٍ سابق –مُبدَع–.

بالمناسبة هذا قانون وليس نظرية!

وهو يسري على كل شيء، على الذرة وعلى المجرة!

وهذا القانون جوهري في إثبات أن فكرة اتجاه جزئيات العالم نحو التعقيد كما يتخيل الملاحدة هي فكرة وهمية لا توجد في الواقع!

فالكون يسير نحو التبسيط لا التعقيد.

١٤- كيف علمنا أن لحظة ظهور الكون كانت بناءً على قانون السببية؟ أو بصيغة أخرى: هل قانون السببية ينطبق على خارج الكون؟

نحن نقول بقانون السببية على الإيجاد لأنه قانون أولي.

وبما أن الكون موجود إذن هناك مؤثِر أوجده.

وقد ثبت علميًا مؤخرًا أن الكون أوجِد على يد مشغِل أوجده، فيما يعرف بـoperatoer formulation of Quantum mechanics

Operator: تعني مشغِل.

فلابد من مشغِل طبقًا لميكانيك الكم.

وإلا ما ظهر الكون!

وهذا يعني أن قانون الحدوث والسببية ينطبق على الكون ذاته لحظة ظهوره.

١٥- لكن لماذا لا ينطبق قانون السببية على الخالق؟ أو بصيغةٍ أخرى: مَن الذي خلق الخالق؟

أولاً: الخالق لا تنطبق عليه قوانين مخلوقاته وهذا بديهي.

وإلا لقلنا: مَن الذي طبخ الطباخ؟

ومَن الذي دَهن الدهّان؟

فالخالق من البديهي أنه موجِد الزمان والمكان فلا تنطبق عليه قوانين هو الذي أوجدها سبحانه!

ثانيًا: كل شيء حادث له محدِث، هذا صحيح؛ لكن الخالق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وليس حادث.

ثالثًا: لابد أن يكون الخالق أزليًا واجب الوجود وإلا عدنا إلى مشكلة "التسلسل في الفاعلين الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال" وهذا شرحناه قبل قليل بالتفصيل.

١٦- لماذا لا يكون أكثر من خالق أزلي؟

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

١٧- لكن ما المانع العقلي من أن يكون هناك إلهين ويتفقا -بحيث لا يتعارض قراريهما-؟

القضية ليست بفساد الكون لاتخاذ قرارين متعارضين.

أو لأنه يمكن أن يتفقا فلا يفسد الكون.

القضية العقلية التي تقدمها الآية الكريمة أبعد وأشمل من ذلك بكثير!